

الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه على غير الواجب قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ موثلاً لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة في السمع كما ان الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأى العين الا انه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصلح له معنى لأننا لانجد روحاً في غير جسم البتة» (١)

وبهذه الصورة ربط ابن رشيق بين ركبي الكلام : اللفظ والمعنى وجعلهما العمدة في حسنه وجودته على خلاف ابن قتيبة الذي فصل بينهما وجعل من الشعر ما يحسن لفظه ومعناه أو لفظه أو معناه .

وكان ابن سنان الخفاجي (- ٤٦٦ هـ) يعاصر ابن رشيق ، ولم يأخذ بهذا المسلك الذي سلكه معاصره بل عند تحديده مقاييس حسن الكلام عني عناية كبيرة باللفظ المفرد ووضع له شروطاً حصرها في ثمانية أشياء : ان يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج ، وان تجد لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها وان تساوي في التأليف من الحروف المتباعدة وان تكون الكلمة غير متوعدة وحشية ، وان تكون غير ساقطة عامية ، وان تكون جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة ، وألاً تكون قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره فاذا أوردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت ، وان تكون معتدلة غير كثيرة الحروف ، وان تكون مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك فانها تحسن به (٢) .

وفي هذا الوقت الذي كان ابن سنان يبحث البلاغة والنقد بحثاً يقوم على الجزئيات وينتهي إلى الكل المجموع ، كان عبد القاهر يقيم بناء نظرية النظم ويحلل في ضوئها إعجاز القرآن واللفظ والمعنى والصور البيانية .

(١) العمدة ج ١ ص ١٢٤ .

(٢) سر الفصاحة ص ٦٦ وما بعدها .